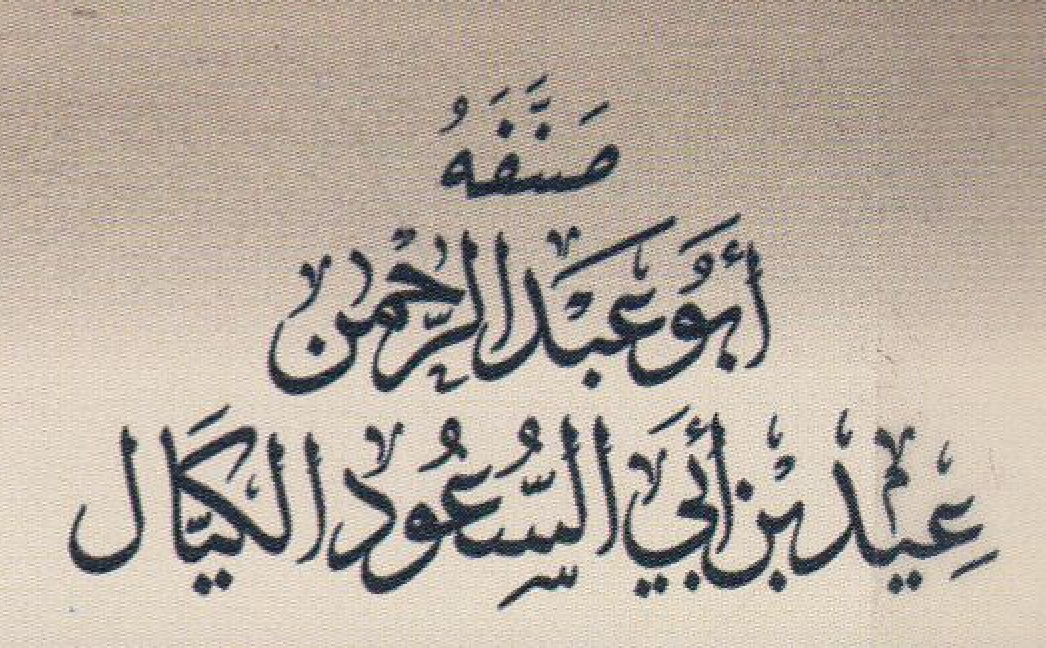
فتنة مصر

و

أذان من الله ورسوله

(حول أحداث ٢٥ يناير ٢٠١١)



مكتبة الكيال
للأبحاث العلمية الشرعية

تصحيح المعتقد

فتنة مصر
و
أذان من الله ورسوله

(حول أحداث ٢٥ يناير ٢٠١١)

صنفه
أبو عبد الرحمن
عيد بن أبي السعود الكيال



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع .
٢٠١١/٤١٦٥



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلامًا على عباده الذين اصطفى.

● ثم أما بعدُ:

فإنه في ظل هذه الفتنة العظيمة الجلل[1]، والتي طار دُخَانُها في كل قُطْرٍ ومِصْر، وعمّ البلاءُ البلاد والعباد وكسرت السجون على المجرمين، واستبيحت الأموال وانتهكتِ الأعرِاض وسُفكت الدماء، وعمّت الفوضى، ورفع الأمن والأمان، وحلّ الذُّعر والدَّمار وأحرقت الهيئات والمؤسسات، وظهرت النفوس الخبيثة مستغلة

(١) أزمة: ٢٥ / يناير / ٢٠١١م، ومظاهرات ميدان التحرير والمحافظات، والمطالبة بإسقاط النظام وبمغادرة الرئيس للحكم.

لظروف المسلمين، . . . . . ، . . . . ، . . . . . . كان الواجب الرئيسي على أهل العلم والدُّعاة إلى اللَّه على بصيرة وفقه، الالتزام بالميثاق الذي أخذه اللَّه عليهم، إذ قال في محكم آياته: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

قال الإمام القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٣٣ - ٢٣٤):

«هذا متّصل بذكر اليهود؛ فإنهم أُمِروا بالإيمان بمحمد ﷺ وبيان أمره، فكتموا نَعْتَه، فالآية توبيخ لهم، ثم معَ ذلك هو خبر عام لهم ولغيرهم.

قال الحسن وقتادة: هي في كل من أُوتي عِلمَ شيء من الكتاب، فمن علم شيئًا فَلْيُعَلِّمْهُ، وإيَّاكم وكتمان العلم فإنه هَلَكَةٌ.

وقال محمد بن كعب: لا يحل لعالم أن يسكت على علمه، ولا لجاهل أن يسكت على جهله، قال اللَّه تعالى (فذكر الآية)، وقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وقال أبو هريرة: لولا ما أخذ اللَّه على أهل الكتاب ما حدّثتكم

بشيء؛ ثم تلا هذه الآية» اهـ.

وفي صدر نفس السورة قال سبحانه العليم الحكيم: ﴿هُوَ الَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

فلا يعلم تأويله إلا اللَّه والرَّاسخون في العلم، فالذين يُبَيِّنُونَه للناس هم الراسخون في العلم، وليس هناك بيان أرسخ، ولا أفصح، ولا أوضح، ولا أفهم، ولا أَبْيَنَ، ولا أيسر، ولا أسهل من بيان صحابة رسول اللَّه ﷺ، ورضي اللَّه عنهم أجمعين، فهم الرَّاسخون في العلم، من نزل بين أظهرهم الوحي، فترسَّخ في قلوبهم الفهم الصحيح لمراد الكتاب والسنة، فَهِمًا أقرهم عليه رسول اللَّه ﷺ.

روى البخاري في صحيحه (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٣ / ٢١١)، من حديث عبد اللَّه، قال: سُئل رسول اللَّه ﷺ: أيُّ الناس خيرٌ؟ قال: «قرني، ثم الذين يلُونهم، ثم الذين يلُونهم».

وهذه الخيرية عامة في كل شيء من أمر الدين والدنيا،

حُسْنٌ في الفهم، وجودة في الحفظ، وقوة وبراعة في العمل، المُصدِّق للقول، وحَدَبٌ على كل ما به ينصلح حال الأمة، نائين بها عن كل سوء وشر.

يقول الإمام أبو محمد الحسن بن علي البربهاري في كتابه شرح السنة:

«٥- واعلم -رحمك اللَّه- أن الدين إنما جاء من قِبَلِ اللَّه -تبارك وتعالى- لم يُوضع على عقول الرجال وآرائهم، وعِلْمُهُ عند اللَّه وعند رسوله، فلا تَتَّبع شيئًا بهواك، فَتَمْرق من الدين فتخرج من الإسلام، فإنَّه لا حجة لك؛ فقد بَيَّن رسول اللَّه ﷺ لأمته السُّنَّة وأوضحها لأصحابه وهم الجماعة، وهم السواد الأعظم والسواد الأعظم: الحق وأهله.

فمن خالف أصحاب رسول اللَّه ﷺ في شيء من أمر الدين فقد كفر[1] . . . .

١٠- واعلم -رحمك اللَّه- أنه لا يتمُّ إسلام عبدٍ؛ حتى يكون مُتَّبعًا مُصدقًا، مُسَلِّمًا، فمن زعم أنه قد بقي شيءٌ من أمر الإسلام لم يكفوناه أصحاب محمد ﷺ فقد كذَّبهم،

(١) والمقصود هو الكفر الأصغر.

وكفى به فُرْقة وطعنًا عليهم، وهو مبتدع ضال مضلٌّ مُحْدِثٌ في الإسلام ما ليس فيه» اهـ.

وأنا على يقين جازم لا يقبل الشك، أن ما يحدث في مصرنا الحبيب الآن، حفظها اللَّه من مكر الماكرين، وكيد الكافرين؛ إنَّما هو من جرَّاء البعد عن منهج السلف الصالح الكرام، رضوان اللَّه عليهم أجمعين، والانخراط في فِرَقٍ، وأحزاب دنيوية، ما أنزل اللَّه بها من سلطان.

أخرج الإمام أبو عبد اللَّه بن بطَّة العكبري في كتابه: الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة (الإبانة الصغرى):

«١٤٨ - وقال أبو حمزة: سألت إبراهيم عن هذه الأهواء. أيُّها أعجبُ إليك؛ فإني أُحِبُّ أن آخذ برأيك؟ فقال: ما جعل اللَّه في شيء منها مثقال ذرة من خير، وما هي إلا زِينةٌ من الشيطان، وما الأمر إلا الأمْرُ الأوَّل» اهـ.

فهم الراسِخُون في العلم الذي يعلمون تأويله، والتأويل غير الفقه، الذي هو الفهم.

روى أحمد في مسنده (٢٣٩٧) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن رسول اللَّه ﷺ وضع يده على كتفي ثم قال:

«اللَّهم فقِّهْه في الدين وعلِّمه التأويل» قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٦٧): «ولأحمد طريقان رجالهما رجال الصحيح» اهـ. وأصله في صحيح البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧) . فدل الحديث على أن الفقه غير التأويل.

أما الفقه: فهو الفهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١]، وأما التأويل: فهو ما يؤول إليه الأمر في المستقبل، وهذا أحد معانيه.

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣].

فاتَّسم منهجهم بالفهم العميق الدقيق العالي، مع النظر إلى مآلات الأمور، ومن ثَمَّ تَجَنُّبُ الزلل والخطأ، المُحَصَّنُ ببركة صحبة رسول الله ﷺ، ومن المؤسف حقًّا، أنه في عُمْقِ هذه الفتنة، سُمعت بعض الآراء والفتاوى تُبارك هذه المظاهرات، وتصف هذه المصيبة بأنها ثورة مباركة، شريطة أن تكون سلمية، لا عنف فيها ولا تخريب، فلمَّا آلت الأمور إلى ما لا يُحْمَدُ عقباه، وانفرط العقد، واتسع الخرق على الراقع، واستبيحت الأموال، وسالت الدماء، وعمَّت الفوضى، وحَمِيَ الوَطِيْسُ، وتصيَّد المتصيِّدون من الداخل والخارج

الفرصة المَرْجَانِيَّة ليبثُّوا كيدهم، من الرغبة في تفريق البلاد والعباد، وتقسيم الدولة إلى دويلات، ونشر العلمانية والإلحاد، واللعب على حرف الفتنة الطائفية، التي فُجِّرت بضَرب كِنيسة الإسكندرية، قبيل هذه الحادثة الجلل، فلمَّا أتاهم تأويله، قال الذين نسوه من قبل . . . . ؛ ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]. وما السودان منا ببعيد.

يقول الإمام أبو المظَفَّر منصور بن محمد السمعاني في كتابه قواطع الأدلة في الأصول (١/ ٣٧٠): «واعلم أن الخُطة الفاصلة بيننا وبين كل مخالف، أننا نجعل أصل مذهبنا الكتاب والسُّنَّة، ونستخرج ما نستخرج منهما، ونبني ما سواهما عليهما، ولا نرى لأنفسنا التسلط على أصول الشرع حتى نقيمها على ما يوافق رأينا وخواطرنا وهواجسنا، بل نطلب المعاني، فإن وجدناها على موافقة الأصول من الكتاب والسنة أخذنا بذلك، وحمدنا اللَّه تعالى على ذلك.

وإن زاغ بنا زائغ ضعفنا عن سواء صراط السنة، ورأينا أنفسنا قد ركبت البنيان وبركت الجُدُد[1]، اتهمنا آراءنا،

---

(١) جمع جُدَّة؛ أي: طريقة ظاهرة، من قولهم: طريق مَجْدُود؛ أي: =

فرجعنا بالآية على نفوسنا، واعترفنا بالعجز، وأمسكنا عنان العقل؛ لئلا يتورط بنا في المهالك، وأعطينا المقادة وطلبنا السلامة، وعرفنا قول سلفنا من أن الإسلام قنطرة لا تُعْبَرُ إلا بالتسليم.

وأما مخالفونا، فجعلوا قاعدة مذاهبهم المعقولات والآراء، وبنوا الكتاب والسنة عليها، وطلبوا التأويلات المستكرهة، وركبوا كل صعب وذلول، وسلكوا كل وعر وسهل، وأطلقوا أَعِنَّة عقولهم كل الإطلاق، فهجمت بهم كل مهجم، وعثرت بهم كل عناء، ثم إذا لم يجدوا وجهًا للتأويل، طلبوا ردَّ السُّنَّة بكل حيلة يحتالونها، ومكيدة يكيدونها؛ لتستقيم وِجْهَةُ رأيهم، وَوِجْهَة معقولهم، فقسَّموا الأقسام، ونوَّعوا الأنواع، وعرضوا الأحاديث عليها، فما لم يوافقها ردّوها، وأساءوا الظن بنقلتها، ورموهم بما نزههم اللَّه تعالى عنه» اهـ.

= مسلوك مقطوع، ومنه: جادَّةُ الطريق. (المفردات في غريب القرآن، ص: ٨٩) للراغب الأصفهاني.

* تمهيدٌ أَثَرِيٌّ :

أخرج ابن بطة في الإبانة الصغرى، عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: «٦١- السُّنَّة إنما سنَّها من علم ما جاء في خلافها من الزلل، ولهم كانوا على المنازعة والجدال أقدر منكم».

وأخرج عن مسلم بن يسار أنه قال: «١٢٤- إيَّاكم والجدال، فإنَّها ساعة جهل العالم، وفيها يبتغي الشيطان زلّته».

وأخرج عن الزهري أنه قال: «١٢٦- الاعتصام بالسّنة نجاة، والعلم يُقبض قبضًا سريعًا، فنعش العلم ثبات الدين والدنيا، وذهاب ذلك كله ذهاب العلماء».

وأخرج عن ابن سيرين أنه قال: «١٣٠- (كانوا يقولون) ما كان الرجل مع الأثر فهو على الطريق» أي: الصحابة رضي الله عنهم.

وأخرج عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «٥٥- الهوى عند من خالف السُّنَّة حقٌّ، وإن ضُرِبَتْ فيه عُنُقه».

وأخرج عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «١٧٦- إذا وقع الناس في الشر فَقُلْ: لا أسوة في الشر، ليوطّن المرء نفسه

على أنه إن كفر الناس كلهم لم يكفر».

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية (ج ٨/ ١٠٦) نصيحة معاوية بن أبي سفيان ﷺ لابنه يزيد، فكان فيها: «فإنَّ الناسَ سِرَاعٌ إلى الشرّ».

نعوذ باللَّه من السوء والشر، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

وقال الإمام البربهاري في شرح السنة:

«٩- واعلم أنّ الخروج من الطريق على وجهين: أمَّا أحدهما: فَرجُلٌ قد زَلَّ عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير، فلا يُقتدى بزلَّته، فإنه هالك.

وآخر عاند الحقَّ وخالف من كان قبله من المتقين، فهو ضال مُضلٌّ، شيطان مريد في هذه الأمَّة، حقيق على من يعرفه أن يُحَذِّر منه ويُبيِّن للناس قصته؛ لئلا يقع أحدٌ في بدعته فيهلك........

٨٠- ولا يحل أن تكتم النصيحة للمسلمين -بَرَّهُم وفاجرهم- في أمر الدين، فمن كتم فقد غشَّ المسلمين، ومن غشَّ المسلمين فقد غشَّ الدين، ومن غشَّ الدين؛ فقد خان اللَّه ورسوله والمؤمنين .....

١٠٣- واعلم أنه لا يزال الناس في عِصابة من أهل الحقِّ والسنة يهديهم اللَّه، ويهدي بهم غيرهم، ويُحيي بهم السنن، فَهُمُ الذين وصفهم اللَّه تعالى مع قِلّتهم عند الاختلاف فقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣] فاستثناهم فقال: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]. وقال رسول اللَّه ﷺ: «لا تزال عصابة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خَذَلهم، حتى يأتي أمْرُ اللَّه وهم ظاهرون» (مسلم: ج: ١٣٢٤).

١٠٥- واعلم -رحمك اللَّه- أن من قال في دين اللَّه برأيه وقياسه وتأويله من غير حُجَّة من السنة والجماعة، فقد قال على اللَّه ما لا يعلم، ومن قال على اللَّه ما لا يعلم فهو من المتكلفين» اهـ.

فإذا تقرر ذلك عندك، فهذا الأوان للبيان من اللَّه ورسوله ﷺ، وسلفنا الكرام، واللَّه المستعان، وعليه التُّكلان.

وتقوم هذه الرسالة التي هي معالجة لهذه الفتنة في ضوء الكتاب والسنة، على محاور ستَّة:

المحور الأول: فتنة مصر، وأذان من اللَّه ورسوله وسلفنا الكرام.

المحور الثاني: الإمام أحمد بن حنبل، وفقه الآثار الحكيم.

المحور الثالث: صورة من المنهج السلفي في الإنكار على زلَّات الوُلاة.

المحور الرابع: الطعن في الأئمة فكرة يهودية خبيثة، تسببت في مقتل الخلفاء الراشدين .

المحور الخامس: صرخة نذير.

المحور السادس: خاتمة القول.

واللَّه أسأل أن يبارك في هذه الرسالة، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

* * *

المِحْوَرُ الأوَّلُ

فتنة مصر، وأذانٌ من اللَّه ورسوله وسلفنا الكرام

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥١، ٥٢].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال ربُّنا: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

فهذا أمر رسوله ﷺ:

روى مسلم في صحيحه (ح: ١٨٤٦) تحت: باب في

طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق، كتاب الإمارة، من حديث وائل الحضرمي قال: سأل سلمة بن يزيد الجُعْفِيُّ رسول اللَّه ﷺ فقال: يا نبيَّ اللَّه! أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقَّهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه ثم سأله في الثانية أو الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس. فقال رسول اللَّه ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، فإنَّما عليهم ما حمِّلوا وعليكم ما حُمِّلْتُم».

وروى البخاري في صحيحه (٣٦٠٣) ومسلم (١٨٤٣) من حديث عبد اللَّه بن مسعود قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها» قالوا: يا رسول اللَّه! كيف تأمر من أدرك منَّا ذلك؟ قال: «تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون اللَّه الذي لكم».

قال النووي في شرحه لمسلم (١٢/ ٥٣٧):

«وفيه الحث على السمع والطاعة، وإن كان المتولي ظالمًا عسوفًا فيعطى حقه من الطاعة، ولا يُخرج عليه، ولا يُخلع، بل يُتضرع إلى اللَّه تعالى في كشف أذاه ودفع شرّه وإصلاحه، والمراد بالأثرة هنا استئثار الأمراء بأموال بيت المال».

وروى مسلم في صحيحه (١٨٣٦) عن أبي هريرة قال:

قال رسول اللَّه ﷺ: «عليك السمع والطاعة في عُسرك ويُسْرِك ومنشطك ومكرهك وأَثَرَة عليك».

كذلك روى الإمام مسلم في صحيحه (١٨٤٧) تحت باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة. عن أبي سلام قال: قال حذيفة بن اليمان: قلت: يا رسول اللَّه إنا كنا بشرٌ، فجاء اللَّه بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: «نعم». قالت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال: «نعم». قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: «نعم». قلت: كيف؟ قال: «يكون أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يَسْتَنُّون بسنَّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس» قال: قلت: كيف أصنع يا رسول اللَّه إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع».

قلت: فهذا وصف لا يخرج عنه أي حاكم مهما وصل إلى درجة من الظلم والطغيان والجبروت، من لدن الحجاج ابن يوسف الثقفي، إلى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها؛ فهو وصف جامع مانع من جوامع الكَلِمِ.

* الإجماع على عدم الخروج على الحاكم الفاسق ووجوب طاعته:

وقال النووي في شرحه (١٢/ ٥٣٠، وما بعدها) تحت باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية: «أجمع العلماء على وجوبها في غير معصية، وعلى تحريمها في المعصية، نقل الإجماع على هذا القاضي عياض وآخرون. قال العلماء: معناه: تجب طاعة ولاة الأمور فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره، وهذه الأحاديث في الحثّ على السمع والطاعة في جميع الأحوال؛ وسببها اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم.

وأما الخروج عليهم وقتالهم، فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل، وحُكِي عن المعتزلة أيضًا، فغلط من قائله، مخالف للإجماع.

قال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه،

ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه» اهـ.

وروى ابن أبي شيبة في المصنَّف (٣٤٤٠٠) في كتاب السير، عن سويد بن غَفَلَة قال: قال لي عمر ﷺ: «يا أبا أمية! إني لا أدري لعلي لا ألقاك بعد عامي هذا، فاسمع وأطع وإن أُمِّر عليك عبدٌ حبشي مُجَدَّع، إن ضربك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن أراد أمرًا ينتقص دينك فقل: سمع وطاعة، دمي دون ديني، فلا تفارق الجماعة».

قال النووي في شرحه (١٢/ ٥٣٢): «مجدَّع الأطراف؛ يعني: مقطوعها، والمراد أخس العبيد» اهـ.

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة تحت ترجمة عبد اللَّه بن مسعود ﷺ (٥٦٥٢): «وأخرج ابن سعد من طريق الأعمش، قال: قال زيد بن وَهْب: لما بعث عثمان إلى ابن مسعود يأمره بالقدوم إلى المدينة، اجتمع الناس فقالوا: أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه، فقال: «إن له علي حق الطاعة، ولا أحب أن أكون أوَّل من فتح باب الفتن» اهـ.

وروى ابن أبي عاصم في كتاب السنة (ح: ١٠٧٩) عن

معاوية بن أبي سفيان ﷺ قال: «لما خرج أبو ذر إلى الرَّبَذَة، لقيه ركب من أهل العراق فقالوا: يا أبا ذر قد بلغنا الذي صُنع بك، فاعقد لواءً يأتيك رجال ما شئت. قال: مهلًا مهلًا يا أهل الإسلام! فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون بعدي سلطان فأعزُّوه، من التمس ذُلَّه ثغر ثغرة في الإسلام، ولم يُقبل منه توبة حتى يعيدها كما كانت».

قال الشيخ الألباني في ظلال الجنة (ص:٤٦٩): «إسناده صحيح، ورجاله رجال الصحيح غير ابن حَلْبَس، وهو يونس بن ميسرة، وهو ثقة» اهـ.

وهذا الأثر قريب مما نحن فيه الآن في هذه الفتنة؛ ويظهر ذلك في قولهم: «فاعقد لواءً يأتيك رجال ما شئت» وصورة ذلك في أمرنا هذا هذه الألوية التي عُقدت في شتى أنحاء مصر؛ أي: المظاهرات.

قال ابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ٦٠٣ - ٦٠٤) تحت قوله: ثم دخلت سنة أربع وستين، وقوله: وهذه ترجمة يزيد بن معاوية، قال: «ولما خرج أهل المدينة عن طاعته، وولوا عليهم ابن مطيع وابن حنظلة، لم يذكروا عنه -وهم أشد الناس عداوة له- إلا ما ذكروه عنه من شرب

الخمر، وإتيانه بعض القاذروات، لم يتهموه بزندقة كما يقذفه بذلك بعض الروافض، بل قد كان فاسقًا، والفاسق لا يجوز خلعه؛ لأجل ما يثور بسبب ذلك من الفتنة ووقوع الهرج، كما وقع زمن الحرَّة، فإنه بعث إليهم من يردُّهم إلى الطاعة وأنظرهم ثلاثة أيام، فلما رجعوا قاتلهم وغير ذلك، وقد كان في قتال أهل الحرة كفاية، ولكن تجاوز الحد بإباحة المدينة ثلاثة أيام، فوقع بسبب ذلك شرٌّ عظيم.

وقد كان عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب، وجماعات أهل بيت النبوة ممن لم ينقض العهود ولا بايع أحدًا بعد بيعته ليزيد، كما قال الإمام أحمد: حدثنا . . . عن نافع قال: لما خلع الناس يزيد بن معاوية، جمع ابن عمر بنيه وأهله، ثم تشهد ثم قال: أما بعد، فإنا بايعنا هذا الرجل على بيع اللَّه ورسوله، وإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة يقال: هذه غدرة فلان**»(١)، وإن من أعظم الغدر إلا أن يكون الإشراك باللَّه: أن يبايع رجل رجلًا على بيع اللَّه ورسوله، ثم ينكث بيعته، فلا يخلعنَّ أحد منكم

---

(١) رواه البخاري (٣١٨٨) من صحيحه، ومسلم (١٧٣٥).

يزيد، ولا يُسرفن أحد منكم في هذا الأمر فيكون الصَّيْلَمَ[١] بيني وبينه. . . وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا . . . . أن ابن عمر دخل على ابن مطيع، فلما دخل عليه قال: مرحبًا بأبي عبد الرحمن، ضعوا له وسادة . فقال: إنما جئتك لأحدثك حديثًا سمعته من رسول اللَّه ﷺ يقول: «من نزع يدًا من طاعة فإنه يأتي يوم القيامة لا حجة له، ومن مات مفارق الجماعة، فإنه يموت موتة جاهلية» وهكذا رواه مسلم[٢]» اهـ.

ولقد وجه الإمام الشاطبي فعل ابن عمر هذا من باب دفع المفسدة الكبرى بالمفسدة الصغرى، لما في ذلك من وجه مصلحة معتبرة.

فقال تحت الباب الثامن: في الفرق بين البدع والمصالح المرسلة، تحت المثال العاشر (٢/ ٤٦٣): «قال ابن العربي: وقد قال ابن الخيَّاط: إن بيعة عبد اللَّه ليزيد كانت كرهًا، وأين يزيد من ابن عمر؟ ولكن رأى بدينه وعلمه التسليم لأمر اللَّه، والفرار عن التعرض لفتنة فيما من ذهاب

(١) الصيلم: الأمر الشديد والداهية والسيف والوَجْبَة (القاموس المحيط: ٤/ ١٣٨) فصل الصاد باب الميم والمعنى القطيعة بيننا.
(٢) ح: (١٨٥١).

الأموال والأنفس ما لا يخفى -فَخَلْعُ يزيد- لو تحقق أن الأمر يعود في نصابه - تعرضٌ للفتنةِ، فكيف ولا يعلم ذلك؟ وهذا أصل عظيم فتفهموه ترشدوا إن شاء الله» اهـ.

قلت: فلما غابَ فَهْمُ هذا الأصل العظيم، ذهبت الأموال الجمة، وقتلت الأنفس الغفيرة.

أما الأموال فتقدر بالمليارات العديدة والتي وصلت إلى سبعين مليار في بحر أسبوع واحد، فقطاع النقل على حدة، قُدِّرت الخسارة بـ(١٥ مليون جنيه) يوميًا، وعشرة مليارات يوميًا في البورصة، وأحرقت الهيئات وأقسام الشرطة ومجمع القضاء، بما فيها من أوراق المسلمين الخاصة بهويتهم وقضاياهم وشئونهم، وهذا فيه من المفاسد المتعددة ما فيه، وهذا جانب من صور التخريب الذي حدث، ناهيك عن الجوانب الأخرى؛ فصلاح ما فسد يحتاج إلى أعوام!؟

فلما كان الفهم الصحيح لواقع الأمر، ولما تؤول إليه الأمور، سلَّم الفقيه العالم عبد الله بن عمر الأمر لله، وآثر الصبر على فسق الحاكم ونصح للأمة، فجنبها الفتن ما ظهر منها وما بطن، رضي الله عنه وأرضاه.

ومن أشد هذه الأمور على الناس، فتح السجون وهروب المجرمين الذين روَّعوا البلد ورُفع الأمان، فانتهبوا الأموال وسفكوا الدماء، وهتكوا الأعراض، فإلى اللَّه المشتكى.

روى مسلم في صحيحه (١٨٤٨، ١٨٥٠) من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات، مات ميتةً جاهلية، ومن قاتل تحت راية عُمِّيَّة، يغضب لعصبية (وفي رواية: يغضب لعَصَبة)، أو يدعو إلى عصبية، أو ينصُرُ عصبية، فقُتل، فقتلةٌ جاهلية»**.

نسأل اللَّه السلامة والعافية وحسن الخاتمة، اللهم آمين، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

* * *

المحور الثاني

* الإمام أحمد أبو عبد اللَّه وفقه الآثار الحكيم:

روى الخلال في السنة تحت باب: الرد والإنكار على من قال: القرآن مخلوق ابتداءً، وتكفير من قال: القرآن مخلوق. قال:

« (١٨٢٦) أخبرني حرب بن إسماعيل الكِرْمَانِيُّ قال: سمعت أبا عبد اللَّه، وذُكر عنده كلام الناس في القرآن أنه مخلوق، فقال: كفر ظاهر، كفر ظاهر.

(١٨٢٧) أخبرني حرب، قال: سألت إسحاق -يعني: ابن راهويه- قلت: يا أبا يعقوب، أليس تقول: القرآن كلام اللَّه، تكلم اللَّه به، ليس بمخلوق؟ قال: نعم، القرآن كلام اللَّه ليس بمخلوق، ومن قال: إنه مخلوق، فهو كافر.

(١٨٢٨) أخبرنا أبو بكر المَرُّوذِيُّ قال: سمعت أبا عبد اللَّه يقول: من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر باللَّه العظيم واليوم الآخر.

(١٨٢٩) أخبرنا سليمان بن الأشعث، وأحمد بن الحسين، ويوسف بن موسى، وإسماعيل بن إسحاق الثقفي -المعنى واحد- أنهم سمعوا أبا عبد اللَّه يقول: القرآن كلام اللَّه غير مخلوق، ومن قال إنه مخلوق، فهو كافر.

والأثر كذلك في مسائل الإمام أحمد برواية أبي داود (١٦٩٧)، وكذلك الآجُرِّي في الشريعة: (٨٥ . ٨٧).

وعليه فهذا ثابت عن الإمام أحمد بالسند الصحيح إليه، ولا مرية في ذلك.

قال ابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٦٣٣) تحت قوله: ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين. قال: «في هذه السنة، كتب المأمون إلى نائبه ببغداد يأمره أن يمتحن القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن، .... ووقعت فتنة صماء ومحنة شنعاء وداهية دهياء، فلا حول ولا قوة إلا باللَّه.

فمن أجاب منهم شهر أمره في الناس، ومن لم يجب منهم، يضرب عنقه، .... (ثم تكلم على خلافة الواثق (١٠/ ٦٦٦ وما بعدها، فقال): وكان الواثق من أشد الناس في القول بخلق القرآن يدعو إليه ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا،

. . . . فأمر الواثق بامتحانهم بخلق القرآن وأن اللَّه لا يُرى في الآخرة، فأجابوا إلا أربعة فأمر بضرب أعناقهم، وأمر بامتحان الأسارى الذين فودوا من أسر الإفراج . . . وهذه بدعة صلعاء شنعاء عمياء صماء لا مستند لها من كتاب ولا سنة ولا عقل صحيح، بل الكتاب والسنة والعقل الصحيح بخلافها . ثم قال (١٠/ ٦٩٤): في أيام المأمون ثم المعتصم ثم الواثق بسبب القرآن الكريم، وأن المأمون كان قد استحوذ عليه جماعة من المعتزلة فأزاغوه عن طريق الحق إلى الباطل، وزينوا له القول بخلق القرآن ونفي صفات اللَّه ﷻ .

قال البيهقي: ولم يكن في الخلفاء قبله من بني أمية وبني العباس خليفة إلا علي منهج السلف، فلما ولي هو الخلافة اجتمع به هؤلاء فحملوه على ذلك، وزيَّنوا له» اهـ .

ثم ذكر ابن كثير فتنة الإمام أحمد بسبب هذا الأمر الجلل وما أصابه من الحبس الطويل سنين، والضرب الشديد والتهديد بالقتل بسوء العذاب وأليم العقاب، وقلة مبالاته، بما كان منهم في ذلك إليه وصبره عليه وتمسكه بما كان عليه من الدين القويم والصراط المستقيم.

ومع هذه الفتنة العمياء الصماء الشنعاء الداهية كما

وصفها ابن كثير، فلننظر إلى فقه الإمام أبي عبد اللَّه أحمد بن حنبل في وصيَّته لفقهاء بغداد في ذلك:

ذكر القاضي أبو يعلى الحنبلي في كتابه الأحكام السلطانية (ص: ٢٣)، ومثله ابن مفلح الحنبلي في: الآداب الشرعية (١/ ١٩٥ - ١٩٦) والخلال في كتابه السنة هذا الأمر فقال:

«وقال حنبل في ولاية الواثق: اجتمع فقهاء بغداد إلى أبي عبد اللَّه وقالوا: هذا أمر قد تفاقم وفشا -يعنون: إظهار خلق القرآن- ونشاورك في أنَّا لسنا نرضى بإمرته ولا سلطانه.

فناظرهم في ذلك وقال: عليكم بالنُّكرة بقلوبكم، ولا تخلعوا يدًا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين[1]، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم؛ وانظُروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح برٌّ أو يُستراح من فاجر.

وقال: ليس هذا صوابًا، هذا خلاف الآثار» اهـ.

*** التوجيه الفقهي لقول أحمد:**

قد أوردت الآثار التي توضح تكفير الإمام أحمد لمن قال

---

(١) إلى هنا لفظه القاضي أبي يعلى، والباقي من ابن مفلح.

بخلق القرآن، وكلٌّ من المأمون والمعتصم والواثق قالوا بذلك، ومع ذلك لم يرضَ الإمام للفقهاء أن يخرجوا عليه.

وتوجيه ذلك عندي على وجهين:

الوجه الأول: أنه نظر إلى ما حولهم من البطانة الفاسدة السوء، من علماء المعتزلة الذين حملوهم على هذه المقولة، فعذرهم بجهلهم، واعتبر أن الحجة لم تقُم عليهم؛ فإن تكفير المعين لا يكون إلا بإقامة الحجة عليه، مع انتفاء الموانع ووجود الشروط، فرأى الإمام أن هذا لم يتحقق فلم يكفرهم، وبالتالي لم ير الخروج عليهم.

على ما جاء في حديث عبادة بن الصامت الذي رواه مسلم في صحيحه (١٨٤٠/ ٤٢) أنه قال: «دعانا رسول اللَّه ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأن لا ننازع الأمر أهله. قال: **«إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من اللَّه فيه برهان»**.

وفي ظل البطانة السوء من العلماء الزائغين عن سواء الصراط مع تصور الجهل في المعيَّن، لا يكون الكفر بواحًا.

الوجه الثاني : أنه يُكفرهم فعلًا على ظاهر قوله في الآثار السابقة، ولكنه رأى أن الخروج عليهم مع كفرهم يؤدي إلى سفك الدماء والعاقبة السيئة، فدفع المفسدة وجلب المصلحة، فَفَقُهَ ونَظَرَ إلى مآلات الأمور وعاقبة أمر المسلمين، والوجهان محتملان، فرحمة اللَّه على الإمام وإن كان الوجه الأول متَّجهًا، وأنا أقول به.

ولا يختلف الأمر عندي لو قمنا بإحلال مكان القول بخلق القرآن، بتبديل الشرائع، فعلى كلا الوجهين، فإن الفقه في الدين وعلم التأويل يمنعان الخروج، هذا هو الفقه الأثري، وباللَّه التوفيق والسداد.

* * *

المحور الثالث

* صورة من المنهج السلفي في الإنكار على زلَّات الوُلاة.

روى البخاري في صحيحه (٧٠٩٨) من حديث أبي وائل قال: «قيل لأسامة: ألا تكلم هذا؟ قال: قد كلمته ما دون أن أفتح بابًا أكون أوَّل من يفتحه، وما أنا بالذي أقول لرجل بعد أن يكون أميرًا على رجلين أنت خيرٌ بعدما سمعت من رسول اللَّه ﷺ يقول: «يُجاء برجل فيُطرح في النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون: أي فُلان ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيقول: إني كنت آمر بالمعروف ولا أفعله، وأنهى عن المنكر وأفعله».

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح (١٣/ ٥٦ - ٥٨):

«عند مسلم: «ألا تدخل على عثمان لتكلمه؟ قوله: (قد كلمته ما دون أن أفتح بابًا) أي: كلمته فيما أشرتم إليه لكن

على سبيل المصلحة والأدب في السرِّ بغير أن يكون في كلامي ما يثير فتنة أو نحوها .

قال المُهَلَّب : أرادوا من أسامة أن يكلم عثمان ، وكان من خاصته ، وممن يخف عليه في شأن الوليد بنِ عقبة ؛ لأنه كان ظهر عليه ريح نبيذ وشُهر أمرُه ، وكان أخا عثمان لأمه ، وكان يستعمله ، فقال أسامة : قد كلمته سرًا دون أن أفتح بابًا ؛ أي : باب الإنكار على الأئمة علانية ؛ خشية أن تفترق الكلمة .

ثم عرَّفهم أنه لا يُداهن أحدًا ولو كان أميرًا ، بل ينصح له في السر جهده ، وذكر لهم قصة الرجل الذي يُطرح في النار لكونه كان يأمر بالمعروف ولا يفعله ، ليتبرَّأ مما ظنوا به من سكوته عن عثمان في أخيه .

وجزم الكرماني بأن المراد أن يكلمه فيما أنكره الناس على عثمان من تولية أقاربه وغير ذلك مما اشتهر .

والذي يظهر ، أن أسامة كان يخشى على من ولي ولاية ولو صغرت أنه لابد له من أن يأمر الرّعية بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ثم لا يأمن من أن يقع منه تقصير ، فكان أسامة ابن زيد يرى أنه لا يتأمر على أحد ، وإلى ذلك أشار بقوله :

لا أقول للأمير إنه خير الناس؛ أي: بل غايته أن ينجو كفافًا.

وقال عياض: مراد أسامة أنه لا يفتح باب المجاهرة بالنكير على الإمام لما يخشى من عاقبة ذلك، بل يتلطف به وينصحه سرًّا، فذلك أجدر بالقبول» اهـ.

وروى ابن أبي شيبة في المصنف في كتاب الفتن (٣٨٤٦٢) عن سعيد بن جبير قال: «قال رجل لابن عباس: آمر أميري بالمعروف؟ قال: إن خفت أن يقتلك فلا، لا تؤنِّب الإمام، فإن كنت لابد فاعلًا: ففيما بينك وبينه».

وقال العلامة الشوكاني كما في السيل الجرَّار: (٤/ ٥٥٦):

«ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يُناصحه، ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الإشهاد، بل كما ورد في الحديث: أنه يأخذ بيده ويخلو به، ويبذل له النصيحة، ولا يُذل سلطان اللَّه» اهـ.

وقال الشيخ العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ كما في كتاب (الضياء اللامع من الخطب الجوامع) مجموعة خطب للشيخ، وفي خطبة: في وجوب التناصح بين الرعية والرعاة

(٢١٥ - ٢١٦)، وكذلك حقوق الراعي والرّعية، قال:

«فاللَّه اللَّه في فهم منهج السلف الصالح في التعامل مع السلطان، وأن لا يتخذ من أخطاء السلطان سبيلًا لإثارة الفتن وإلى تنفير القلوب عن ولاة الأمور، فهذا عين المفسدة، وأحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس.

فالواجب أن ننظر ماذا سلك السلف تجاه ذوي السلطان، وأن يضبط الإنسان نفسه، وأن يعرف العواقب.

وليُعلم أنّ من يثور إنما يخدم أعداء الإسلام، فليست العبرة بالثورة ولا بالانفعال، بل العبرة بالحكمة» اهـ.

* * *

المحور الأم

الطعن في الأئمة فكرة يهودية خبيثة، تسبَّبت في مقتل الخلفاء الراشدين، وقد نهينا عن ذلك

أخرج الترمذي في جامعه، في كتاب الفتن (٢٢٢٤) عن زياد بن كُسَيْبٍ العدوي قال: كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر وهو يخطب، وعليه ثيابٌ رقاق، فقال بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفُسَّاق، فقال أبو بكرة: اسكت سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«من أهان سلطان اللَّه في الأرض أهانه اللَّه»** قال الترمذي: حديث حسن غريب.

والمعلوم أن صنيع المحدثين من وضع الحديث تحت كتاب معين وباب معين يُبيّن وجهة المُحدث في معنى الحديث، فقد أورده الترمذي في كتاب الفتن تحت باب ما جاء في الخلفاء، فأظهر بلا شك: أن إهانة السلاطين من جملة الفتن. قال المباركفوري في تحفة الأحوذي بشرح

جامع الترمذي (٦/ ٨٦): «أي: من أهان من أعزه اللَّه وألبسه خلعة السلطنة أهانه اللَّه، والإضافة في سلطان اللَّه، إضافة تشريف كبيت اللَّه» اهـ.

وروى ابن أبي عاصم في السنة (١٠١٥) عن أنس بن مالك قال: نهانا كبراؤنا من أصحاب محمد ﷺ قال: «لا تسبُّوا أمراءكم ولا تغشوهم ولا تبغضوهم واتقوا اللَّه واصبروا فإن الأمر قريب».

قال الشيخ الألباني في ظلال الجنة (ص: ٤٤٤): «إسناده جيد ورجاله ثقات وفي بعضهم كلام لا يضر» اهـ.

ثم اتبع ابن أبي عاصم هذا الأثر بأثر آخر عن أبي الدرداء قال: «إياكم ولعن الولاة، فإن لعنهم الحالقة وبغضهم العاقرة قيل: يا أبا الدرداء فكيف نصنع إذا رأينا منهم ما لا نحب؟ قال: اصبروا . فإن اللَّه إذا رأى ذلك منهم حبسهم عنكم بالموت».

قال الألباني في ظلال الجنة (ص: ٤٤٤): «إسناده ضعيف، ورجاله ثقات غير أبي اليمان الهوزني، قال ابن القطان: «لا يعرف له حال» وأما ابن حبان فوثقه!» اهـ.

قلت: ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب (٣٤٩٤) واسمه: عامر بن عبد اللَّه بن لحي أبو اليمان، وذكر توثيق ابن حبان له. وقال في تقريب التهذيب (٣١١٧): «أبو اليمان ابن أبي عامر الهَوْزَنِيُّ الحمصي، مقبول من الخامسة» اهـ.

وقول أبي الدرداء: (فإن لعنهم الحالقة)؛ أي: حالقة الدين، نعوذ باللَّه من الخذلان.

هكذا فسرها السلف، منهم التابعي أبو إدريس الخولاني، وأبو مِجْلَز وهو ما يوافق الخبر في فساد ذات البين.

قال ابن عساكر في: «تاريخ دمشق: (٢٩/ ٣)[١]»:

«عبد اللَّه بن سبأ الذي يُنْسَبُ إليه السبئية -وهم الغلاة من الرافضة- أصله من أهل اليمن، كان يهوديًّا، وأظهر الإسلام، وطاف بلاد المسلمين، لِيَلْفِتَهُم عن طاعة الأئمة،

---

(١) نقلًا عن كتاب معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة. د. عبد السلام برجَس، وهو كتاب في غاية الجودة في بابه، وهو جدير بأن يُدرس في المعاهد والكليات الشرعية، بل ينبغي ذلك، لاسيما لفراغ هذا الباب في هذه الكليات مع أهميتها.

وقد استفدت منه في رسالتي هذه، رحم اللَّه مصنفه وجزاه عنا خيرًا.

ويُدخل بينهم الشر، وقد دخل دمشق لذلك في زمن عثمان بن عفان» اهـ. ثم قال عبد اللَّه بن سبأ: «إن عثمان بن عفان قد جمع أموالًا أخذها بغير حقها، وهذا وصيُّ رسول اللَّه ﷺ (يشير إلى علي بن أبي طالب، ويحرض الناس على خلع عثمان وتولية علي) فانهضوا في هذا الأمر فحرّكوه، وابدؤوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، واستميلوا الناس، وادعوا إلى هذا» اهـ.

أي: أن ظاهر المسألة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وباطنه الطعن فيهم، وقلب نظام الحكم.

قلت: فبدأ يبث دعاته إلى كافة البلاد ونشر الفتنة وزرعها حتى أدَّى إلى أن قتلت الرعية أميرها عثمان بن عفان، وبدأ الشر العظيم المستطير الذي امتد إلى علي بن أبي طالب، فكانت موقعة الجمل وصفّين، وموت مئات الآلاف، وموجة الفتن التي هي كقطع الليل المظلم، وتقتيل الصحابة بعضهم بعضا، وهم أفضل خلق اللَّه بعد الأنبياء والمرسلين، فما بالكم بحالنا نحن، فإلى اللَّه المشتكى ولا حول ولا قوة إلا باللَّه، وإن للَّه وإنا إليه لراجعون، وبمثل كلام ابن عساكر قال الإمام الآجرّي في كتاب الشريعة (١/ ١٣٨).

المحور الخامس

تعقيب خطير جدًّا، وصرخة نذير

إن هذا اليهودي الملعون، قد زرع منهجًا، تسير عليه أمة القردة والخنازير، من اليهود ومن شايعهم وعاونهم، هذا المنهج السبئي اليهودي، هو سبب إشعال نار الفتنة بين الرعية والرعاة على مرّ العصور والأزمان.

قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

فَعَوْدٌ على بَدْءٍ: في هذه الأيام في بلاد المغرب بدءًا بتونس، ثم انتقل الأمر إلى الجزائر ومصر واليمن، .....، .....، ..... وبدأت نيران الفتن العظيمة الجلل، والتي تولَّى كِبْرَها السبئيُّون الجدد المعاصرون: قناة الجزيرة القطرية، من دولة قطر حليفة اليهود والأمريكان، والتي كانت مركزًا حيويًا وقاعدة حربيةً يُضرب من على أرضها المسلمون بالعراق، مؤكدة سبئيَّتها وتهويدها، وما أشبه البارحة باليوم، فما قتلت

الأمة الإسلامية على أيدي أطغى خلق اللَّه، التتار، حتى سبحت خيولهم في بحر دماء المسلمين، فما حدث ذلك إلا من جرَّاء أحفاد عبد اللَّه بن سبأ، الروافض، ألا لعنة اللَّه عليهم، الذين مكنوا للتتار من ديار المسلمين وحرماتهم، حتى إن التاريخ ما نقل إلينا أعظم ولا أشر ولا أطم من فتنة التتار، والقوم في دأب عظيم إلى تمكين التتار الجدد من دماء المسلمين، وعلى شاكلة قناة الجزيرة، قناة (B.B.C) والعربية، وكل من نحى على طريقهم وهديهم، بعيدًا عن المسمَّيات؛ فإنما هو منهج له أصوله وجذوره التي تمتد إلى أول فتنة وقعت في هذه الأمة المحفوظة بنص كلام رسول اللَّه ﷺ، رغم مكر الماكرين، في عمق هذه الفتنة القاتلة الدهماء العمياء الشنعاء، يأتي دور أهل العلم الراسخين، الذين درسوا التاريخ الإسلامي، وقرءوا واقع الأمة، واستنبطوا وعلموا ما لم يعلمه غيرهم، ونظروا بنور العلم إلى ما تؤول إليه الأمور، وإلى عواقب هذه الأزمة على ضوء الكتاب والسنة والآثار، التي هي المرجعية الأصل للأمة عند الفتن وغيرها، فَيُذَكِّرُون الغافل والناسي ويُرجعون التائه والشارد إلى منهج سلف الأمة في التعامل والتصدي مع هذه الفتنة، فيأخذون الناس إلى السير

على الجادة الصحيحة الحقة، على الطريق المستقيم فيأمرون الخلق بضبط النفس، وكبح جماح العقل بِحَكَمَةِ الشرع الحكيم والنقل، والإصغاء إلى صوت العقل السلفي المنضبط على منهج الله ورسوله بفهم صحابته الكرام العقلاء، الذين يعلمون تأويله، رضي الله عنهم أجمعين.

فإذا كان ذلك كذلك، ورأينا عواقب هذه الفتنة من الخراب والدمار، فإنه ينبغي على كل داعية يدعو إلى الله على بصيرة وفقه، أن يستنكر هذه المظاهرات التي هي صورة ظاهرة من الخروج على ولاة الأمور، ومن كان حسن النية بلا شك فنادى بالمظاهرات السلمية، فقد بدت لهم عواقب الأمور، فليست العبرة في هذه الفتن إلى من نيته حسنة، بل إلى الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله، الذين استقرءوا الفتنة في مهدها، فعلموا ما فيها من الأنياب التي تفتك بصوت كل عقل فيها، لاسيما وأنت تخاطب شبابًا مقهورًا، محرومًا، ذاق ويذوق ولا يزال ذائقًا لصنوف الظلم والجَوْر.

روى أبو نعيم في الحلية عن الحسن البصري أنه قال:

«إن العالم يرى الفتنة وهي مقبلة، ويراها الجاهل وهي مدبرة».

وليس العلم بمنهج السلف بخاف على أحد قط، وإنما هو الإصغاء إلى العقل غير المُنَشَّأ على المنهج القويم.

فهذه صرخة نذير: إلى كل من رغب في مصلحة الإسلام والمسلمين، ومصر والمصريين، والناس أجمعين: إن أمتنا الحبيبة مستهدفة، وعلى رأسها مصرنا الحبيبة حفظها الله، فلا تكونوا مَعَاوِل هدم في أيدي السَّبَئِيِّين.

روى البخاري في صحيحه (٧٠٦٢) ومسلم (٢٦٧٢) والترمذي (٢٢٠٠)، عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: **«إن من ورائكم أيامًا يُرفع فيها العلم ويكثر فيها الهَرْجُ»** قالوا: يا رسول الله، ما الهرج؟ قال: **«القتل»** وهذا سياق الترمذي.

وعند الشيخين بلفظ: **«يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل»** وفي رواية: **«ويَبُثَّ الجهل»** وروى الإمام ابن بطة في (الشرح والإبانة الصغرى) (٩٢).

عن عمرو بن قيس المُلائي الثقة المتقن العابد (تُوفي سنة بضع وأربعين هجرية) أنه قال: «إذا رأيت الشاب أوّل ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة فارْجُه، وإذا رأيته مع أهل البدع

فايأس منه، فإن الشاب مع أوَّل نشوئِهِ».

وقد ذكرت في أول هذه الرسالة قول ابن مسعود: «إذا وقع الناس في الشر فقل لا أسوة في الشر» وقول معاوية ﷺ: «فإن الناس سِرَاعٌ إلى الشر».

فعلى ضوء هذا لا تَغْتَرّ بقول من قال: إن المظاهرات قد أحدثت تغييرًا جذريًا، وأن مصر قبل (٢٥/يناير) غير مصر بعد (٢٥/يناير)، وإن كان هذا أمرًا صحيحًا لا يُنكره إلا جاحد، غير أن المرجعية إنما هي إلى الأصول والقواعد المستنبطة من الكتاب والسنة، هذه القواعد والأصول التي لا تتغير ولا تتبدل بتغير الأحوال والأشخاص والأماكن والأزمان والعادات، وهذه القواعد لا تُقر هذا الأمر من قريب ولا بعيد، ولا صوت للتجارب العملية المتغيرة بتغير الأحوال مع كتاب لا يأتيه الباطل من أي ناحية قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٣- ٥].

فإن هذه المظاهرات إنما هي على منهج الديمقراطية الذي لا يعرفه المسلمون من قبل؛ والمعلوم من الضرورة أنه يجوز على منهج الديمقراطية هذا أن يتولى على المسلمين حاكم مشرك ديانته غير الإسلام ظاهرًا وباطنًا، إذا انتخبه الشعب، ورأى -على طريقة بادِيَ الرأي- أنه الكفء في هذه الولاية، وهذا خروج عن الكتاب والسنة والإجماع، نعوذ بالله من الخذلان، فالديمقراطية معناها: حرية الدين، والإباحية المطلقة.

وقال تعالى في سورة الأنبياء (١١٠ - ١١١): ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

*** خاتمة القول:**

قال الإمام أبو بكر بن الحُسين الآجُرِّيُّ المتوفى سنة ٣٦٠هـ في كتابه الشريعة (١/ ١٣٥)[1]: «من تصفح أمر هذه الأمة من عالم عاقل، علم أن أكثرهم -العام منهم- تجري أمورهم على سنن أهل الكتابين، كما قال النبي ﷺ، وعلى سنن كسرى وقيصر، وعلى سنن أهل الجاهلية، وذلك مثل السلطنة

---

(١) طبعة مؤسسة قرطبة.

وأحكامهم وأحكام العمال والأمراء وغيرهم، وأمر المصائب والأفراح والمساكن واللباس والحلية، والأكل والشرب والولائم والمراكب والخدم والمجالس والمجالسة، والبيع والشراء والمكاسب من جهات كثيرة، وأشباه لما ذكرت يطول شرحها، تجري بينهم على خلاف السنة والكتاب، وإنما تجري بينهم على سنن من قبلنا، كما قال النبي ﷺ، والله المستعان.

ما أقل من يتخلص من البلاء الذي قد عم الناس، ولن يميز هذا إلا عاقل عالم قد أدّبه العلم، والله الموفق لكل رشاد والمعين عليه».

ثم روى أثرًا عن ابن عباس رقم (١٢) عن طاوس قال: ذُكر لابن عباس الخوارج وما يصيبهم عند قراءة القرآن؟ قال: «يؤمنون بمحكمه ويضلون عن متشابهه، وقرأ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] والأثر رجاله رجال الصحيح غير: محمد بن عبد الله بن يزيد. قال الحافظ في التقريب (٦٠٩٤): «محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ أبو يحيى المكي، ثقة» ثم روى أثرًا آخر، وهو أول أثر ذكر تحت باب: في السمع والطاعة لمن ولي أمر المسلمين والصبر عليها وإن جاروا، وترك الخروج عليهم ما أقاموا

الصلاة، والأثر سنده صحيح: «(١٩) عن حماد بن زيد قال: حدثنا عُمر بن يزيد صاحب الطعام قال: سمعت الحسن أيام يزيد بن المهلب قال: «إن الناس إذا ابتلوا من قِبَلِ سلطانهم صبروا، ما لبثوا أن يرفع اللَّه ذلك عنهم، وذلك أنهم يفزعون إلى السيف فيُوكَلوا إليه، واللَّه ما جاءوا بيوم خير قط، ثم تلا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]. »، وهل بعد أمر اللَّه بالصبر ومدحه أمر!؟

وكان الحسن البصري من سادات علماء التابعين؛ تربى في بيت أم المؤمنين أم سلمة، فحلّتِ عليه بركة بيت النبوة.

قال الحسن كما في كتاب (آداب الحسن البصري) لابن الجوزي (ص: ١١٩): «سمع الحسن رجلًا يدعو على الحجاج فقال: لا تفعل -رحمك اللَّه- إنكم من أنفسكم أُتيتُم، إنّما نخاف إن عُزل الحجاج أو ماتِ، أن تليكم القردة والخنازير» اهـ.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن

مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [النحل: ١١١ - ١١٢]. وقال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

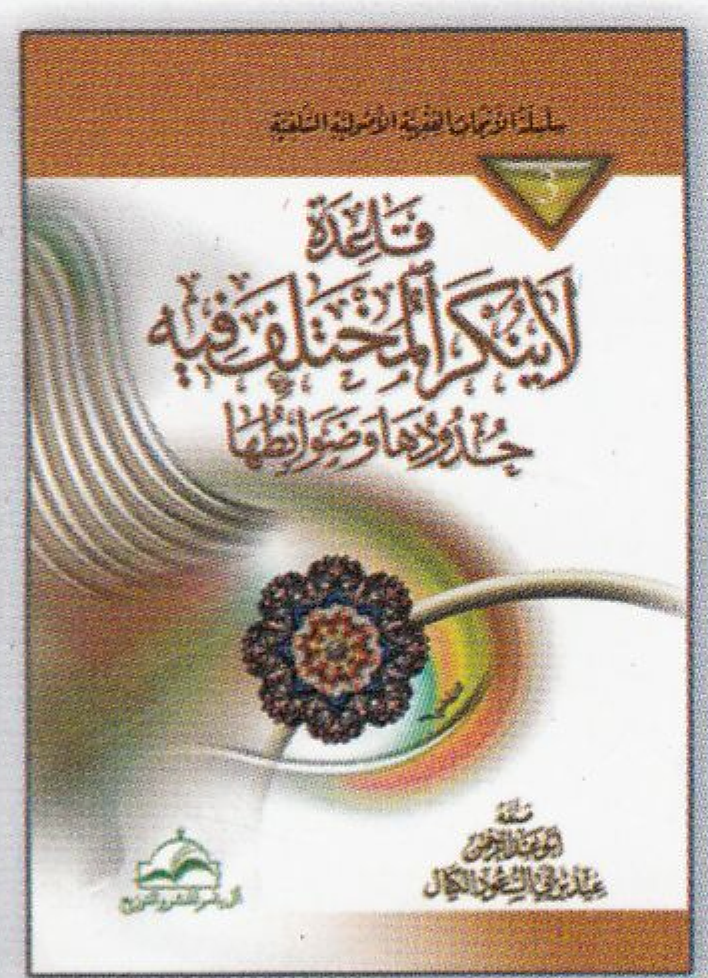
نسأل اللَّه ﷻ وﷻ، أن يَرُدَّنا إلى كتابه وسنة نبيِّه ردًّا على منهج السلف الكرام الأطهار، وأن يُبصّر ولاة أمورنا وعلماءنا بما يصلح الأمة، ويرد عنها الفتن ما ظهر منها وما بطن، حتى يسيروا بالأمة على سواء الصراط، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

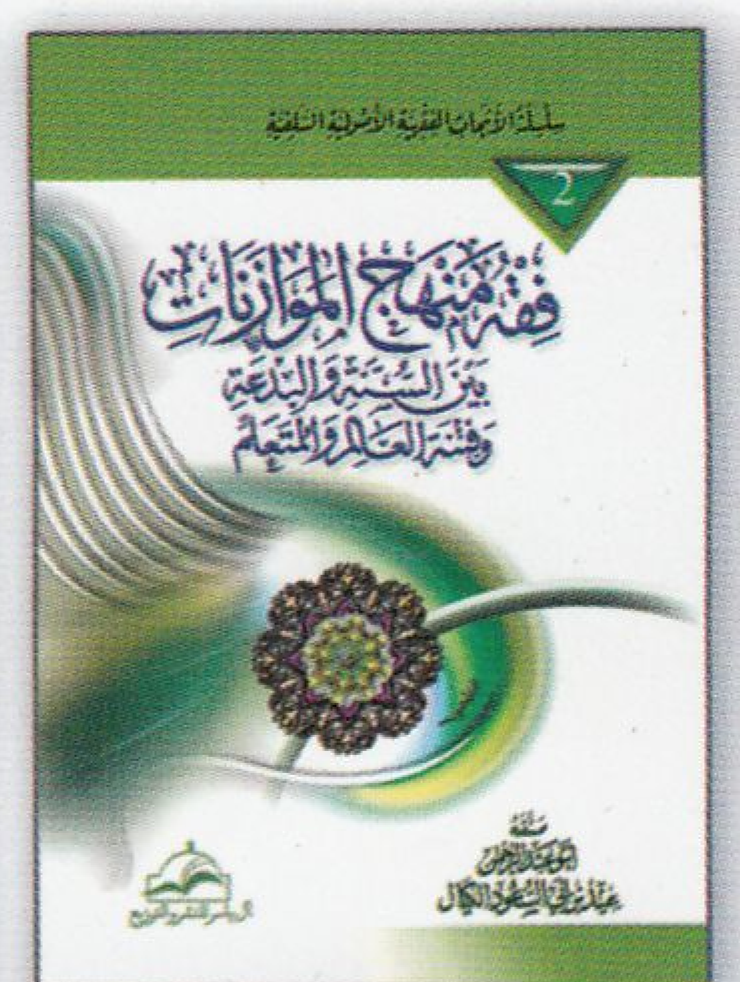
سبحانك اللَّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا اللَّه، أستغفرك وأتوب إليك.

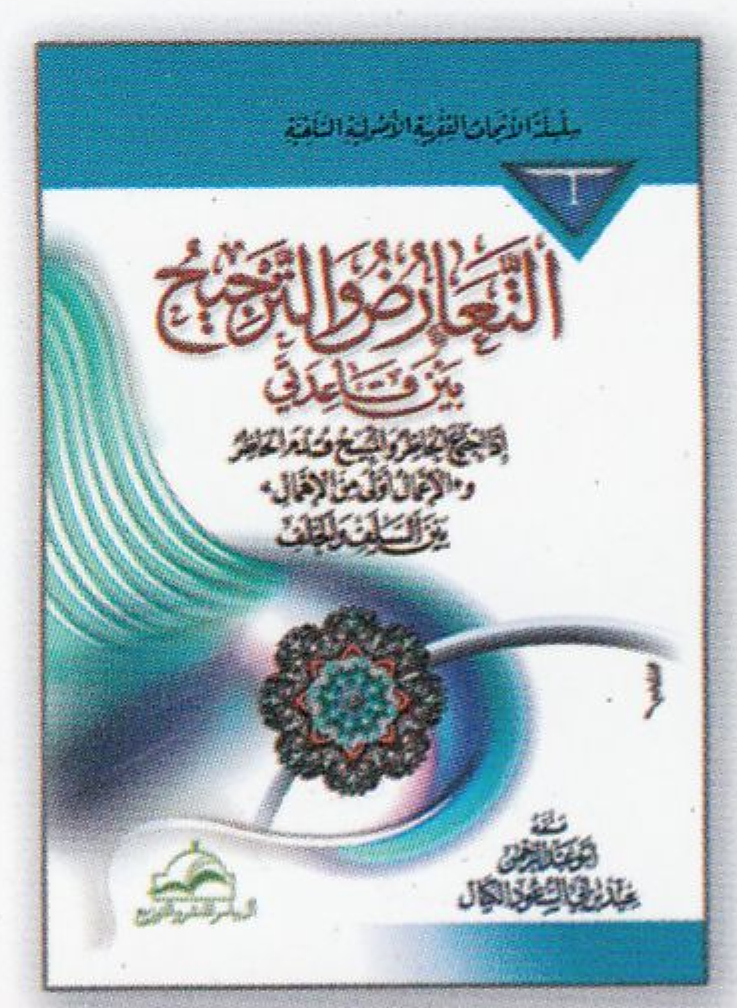
وكتبه/ أبو عبد الرحمن عيد أبو السعود الكيال
القاهرة، الهجانة، م . نصر
وكان الانتهاء منه ضحى يوم الاثنين
٤ / ربيع الأول / ١٤٣٢ هـ
٧ / ٢ / ٢٠١١ م

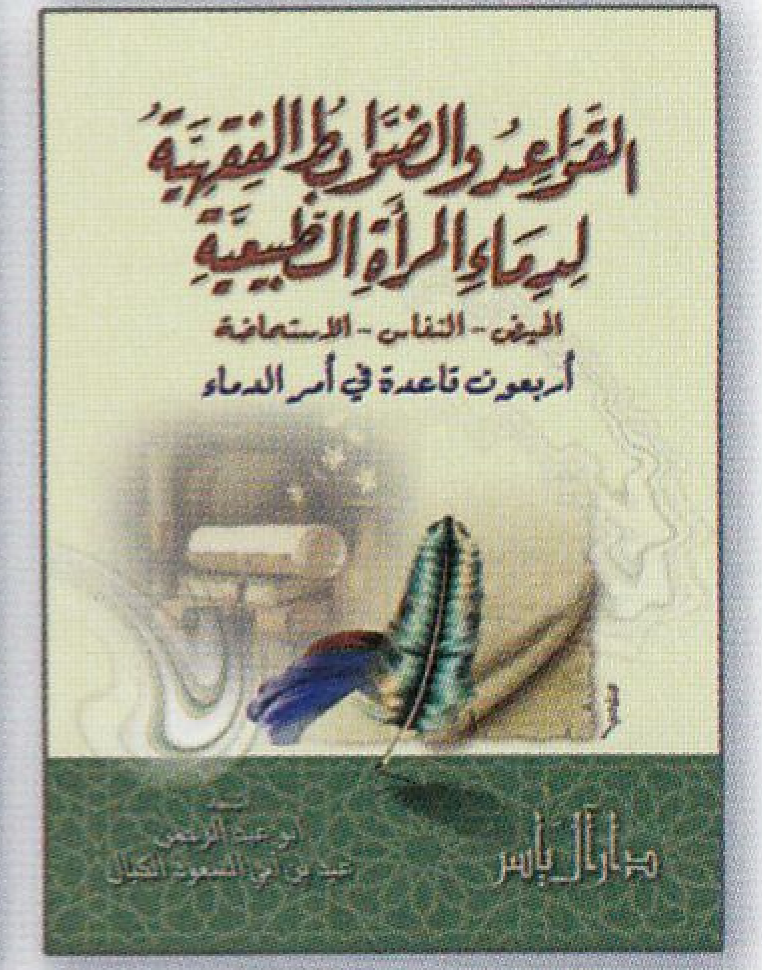
فهرس الموضوعات

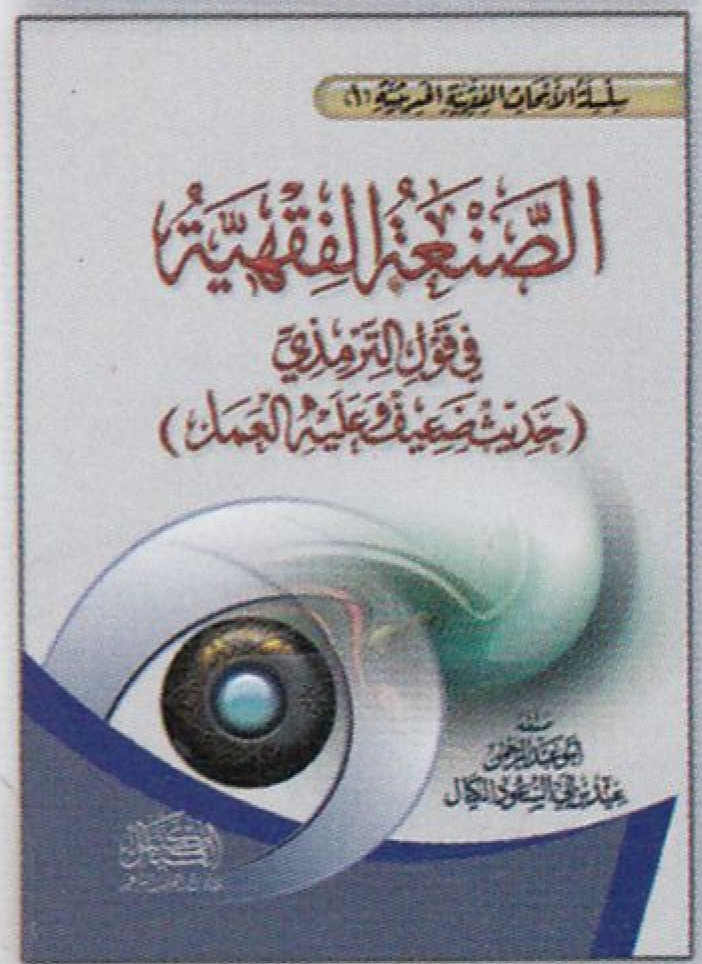
* * *

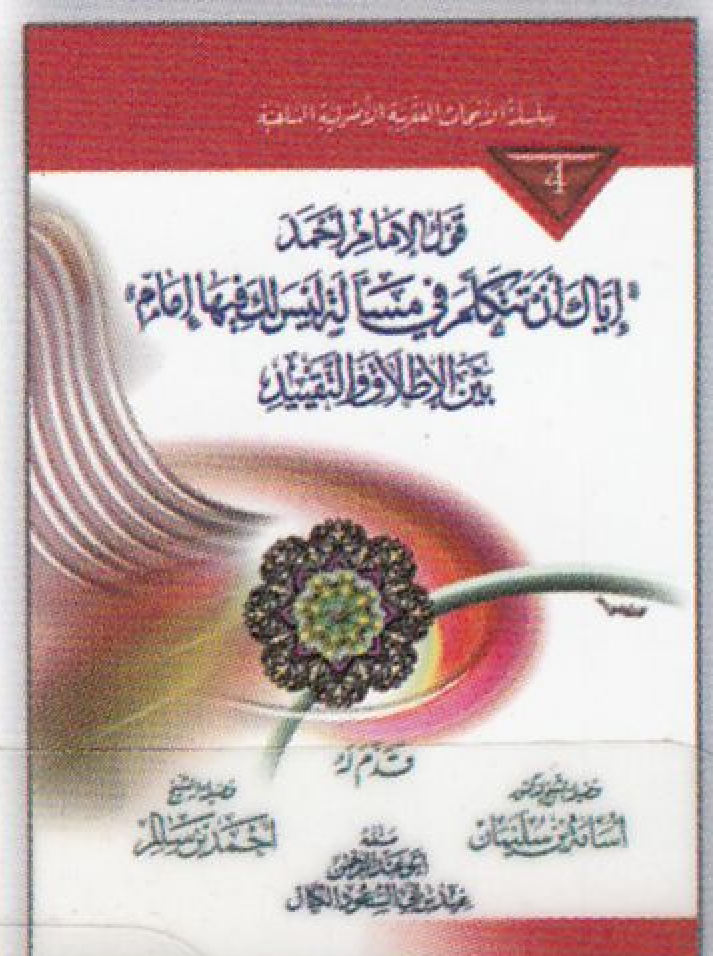


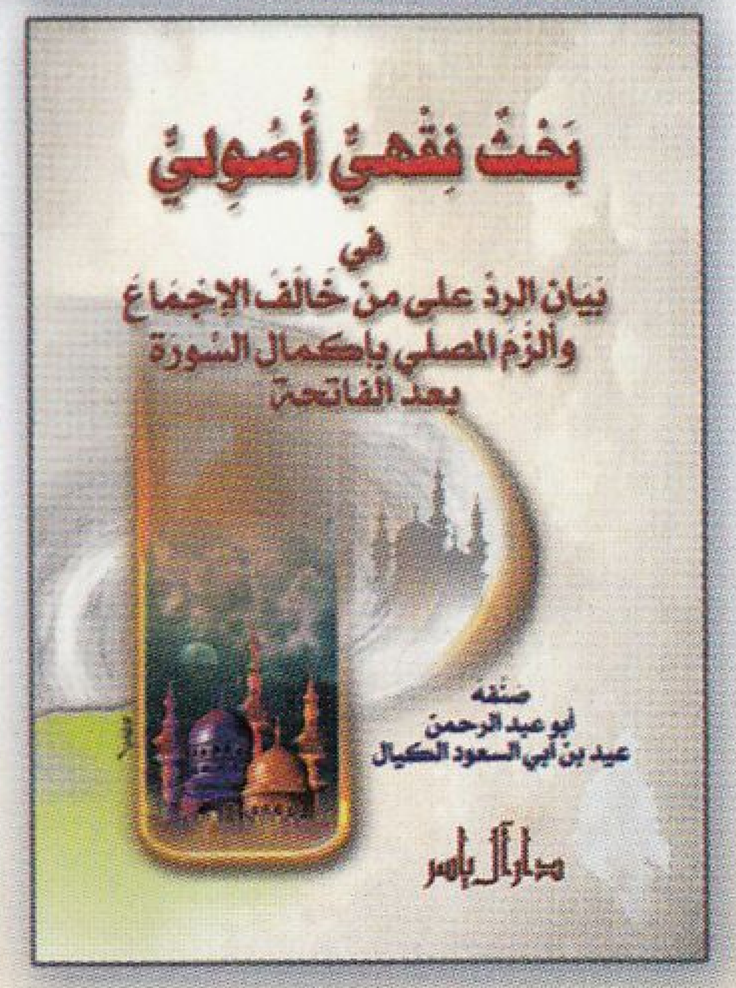


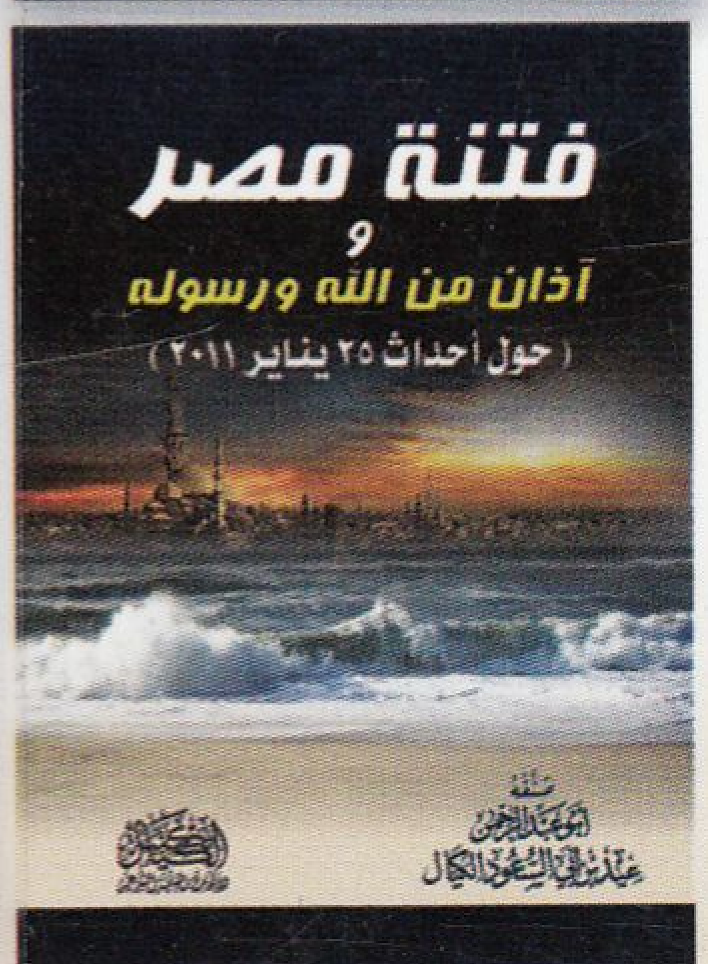
















٠١٠٣٩١٥٢٧٠
٠١٤٥٨٠٩٤٤٧